شريف مكة
بين
قوتين

احمــد مرســي
أمـين مكتبة الدارة

تولى الشريف غالب بن مساعد امارة مكة عام ١٢٠٢ هـ بعد وفاة أخيه الشريف سرور بن مساعد واستمر حكمه ستة وعشرين عاما حافلة بالاحداث الجسام التى فرضها وقوعه تاريخيا وجغرافيا بين قوتين : الاولى وهي الدولة العثمانية التي يهيمن باسمها على مكة وتهامة وباقي مناطق الحجاز - والثانية هي الدولة السعودية الاولى التي بزغت في الدرعية وانطلقت شرقا وشمالا وغربا تنشر دعوة التوحيد بقيادة الامام عبد العزيز بن محمد والامام سعود بن عبد العزيز .

كان من الطبيعي ان تبلغ مسامع الشريف دعوة التوحيد التي انبثقت من الدرعية فكتب الى أميرها عام ١٢٠٤ يطلب اليه ارسال عالم ليشرح حقيقة دعوة التوحيد فارسل الامام عبد العزيز اليه القاضي عبد العزيز بن عبد الله الحصين يحمل كتابا من عالم الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يوجز الاسس التي قامت عليها ، فلما وصل القاضي الى الشريف غالب اكرمه ودرس رسالة الشيخ وعرف مابها وأقره ثم طلب مبعوث الامام عبد العزيز من الشريف استدعاء علماء مكة ليناظرهم ويقف على كلامهم ويناقشهم في اصول التوحيد الا أن هؤلاء رفضوا الحضور وقالوا للشريف : هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة الا ازالة نهج أجدادك ورفع يدك عن معتادك وجوائز بلادك - فطار لب الشريف وارتمش قلبه (١) وفي العام التالي شرع الشريف في سلسلة من المعارك ضد السعوديين بعد أن نجح في اغراء بعض القبائل من شمر ومطير وبوادى الحجاز للانحياز الى جانبه والانسلاخ عن الامام عبد العزيز كما أمكنه استمالة قبائل حويل وجماهير في وادى الدواسر وأشهر تلك المعارك معركة قصر بسام في صحراء السر ومعركة وادى الدواسر ومعركة قرية الشعرا في عالية نجد ومعركة العدوة قرب حايل وقد انتهت كل تلك المعارك بانتصار الامام ورجوع الشريف الى مكة بلا نتيجة . ولم يقلع الشريف عن السلوك العدواني ومحاولات نزع القبائل الموالية لعبد العزيز عن ولائها فسير عام ١٢١٠ جيشا بقيادة الشريف فهيد الى قحطان

(١) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام الجزء الثاني ، ص ١٤٥

وهم على ماء ماسل في عالية نجد واستطاع أن يهزم هادى بن قرملة رئيس قحطان ، فأغراه هذا الانتصار لان يواصل العدوان فارسل جيشا آخر بقيادة الشريف ناصر بن يحيى فأسرع الامام عبد العزيز وأمر رئيس عتيبة محمد بن ربيعان ورئيس مطـــير فيصل الدويش وكذلك عربان السهول وسبيع والعجمان وغيرهم من بوادى نجد بأن ينزلوا على هادى بن قرملة وعربانه ـ ثم أمر الامام عبد العزيز أمير الدواسر ربيع بن زيد بأن يسير بالدواسر الحاضرة والبادية وينزلوا كذلك على ابن قرملة واجتمعت كل هذه الجيوش قرب الجمانية عندجبل النيرحيث التقى بهم الشريف ناصر ودارت المعركة بشدة وعنف واستطاع هادى ابن قرملة أن يثأر من هزيمته السابقة وحمل على جنود الشريف فولوا منهزمين وغنم من اموالهم وسلاحهم الشيء الكثير ـ وحين وصل محمد ابن معيقل الذى ارسله الامام ليساعد ابن قرملة وجد أن المعركة قد انتهت فلم يتوقف وحث السير في اثر الشريف وعربانه حتى ادرك بنى هاجر عند القنصلية قرب تربة فقاتلهـــــم واخذ جميـــــع اموالهـــم .

واستمرت الحرب سجالا بين القبائل الموالية للشريف وتلك التى تبايع عبد العزيز وقد تجاذب الفريقان تيارين متضادين فنراهم يميلون الى جانب الشريف تارة ثم الى الامام عبدالعزيز تارة أخرى ولعل ذلك راجع الى أن الجيش المنتصر سرعان مايجلو عن الموقع الذى سجل فيه انتصاره بعد أن يحمل الغنائم والاسلاب ، وبعد أن يأخذ عهـد البيعة على الســـمع والطاعة من المهـزومـــــين .

لقد شهد عـام ١٢١٢ وحده المعـارك التاليـــة :

١ ـ هاجم الشريف غالب فريقا من عربان قحطان عند عقيلان دون بيشة وفشل هذا الهجـــــــوم بســـبب ظمأ جنـــوده .

٢ ـ هاجم الدواسر بقيادة ربيع بن زيد أهل بيشة والجنينة وضيق عليهم الحصـار حتى بايعوه على السمع والطاعة فانزعج الشريف وجرد اليهم حملة بقيـــادة الشريف فهيد بن عبد الله فحاصرهم وقطع نخيلهم حتى عادوا الى طاعته

٣ ـ اغار هادى بن قرملة رئيس قحطان على البقوم في تربة وهزمهم وكاد الغارة كرة اخــــرى بعـد شــــهرين .

٤ ـ اغار الشريف بنفسه على قحطان وقامت معركة عند رنية قتل فيها عدة رجال من الفريقـــــين .

وكان لابد من نهاية لتلك الغـــــارات .

فبينما كان الامام عبد العزيز يحارب قبائل شمر والظفير وآل بعيج والزقاريط في وادى الابيض قرب السماوة بالعراق انتهز الشريف الفرصة وسار بجيش كبير من البادية والحاضرة والمغاربة وعدة ضخمة من المدافع والآلات الى بلدة رنيــــة وحاصرها ودمر نخيلها ووقع بينه وبين اهلها قتال شديد وبعد حصار دام عشرين

يوما رحل عنها الى بيشة ونازل أهلها وادخلها في طاعته ثم نزل الى الخرمة قرب تربة وقد غاب عن علمه أن سعود بن عبد العزيز أرسل قسما من جيشه نحو الشريف في الوقت الذى ارسل فيه والده الامام عبد العزيز اوامره الى زعيم قحطـــان هادى ابن قرملة وأمير الدواسر ربيع بن زيد وغيرهما من أخـلاط البوادى والحضر بأن يتوجهوا لصد الشريف فساروا اليه وداهموه في الخرمة فهزموه وقتلوا من رجـاله ١٢٢٠ رجلا وغنموا أموالا واسلحة وعلى اثر تلك المعركة صالح الشريف الامـام عبد العزيز وبايعـه في شـوال ١٢١٢

وبعد تلك المعركة الفاصلة بدأت ركبان الحج تصل من نجد ، وحج سعود بن عبد العزيز حجتيه الاولى والثانيـة عـامى ١٢١٤ و ١٢١٥ .

موقف الدولة العثمانية من الدولة السعودية حتى عـام ١٢١٤ :

لم تفكر الدولة العثمانية في استخدام الشريفكقوة عسكريةمحاربة ضدالسعودية وانما اتجهت الى سليمان باشا والى بغداد وكلفته بشن الحرب على الدولة الفتيـة واصدرت اليه الاوامر بالتحرك الى الدرعية وقد قام الوالى بتنفيذ المهمة وسارت قواته حتى وصلت الى الحسا عام ١٢١٣ هـ ولكن تلك القوات بدلا من أن تشن الحرب ابرمت الصلح مع الامام عبد العزيز وعادت الى بغداد دون قتال ـ وكان من الطبيعى أن يغضب الشريف غالب من ذلك الصلح واتهم سليمان باشا (٢) بالخيانة لانه كان يأمل أن يقوم الوالى بتخفيف الضغط الواقع عليه من جانب الدولة السعودية ويكفيه مئونة الحرب ضدها ولا يضطر الى طلب الامدادات من الدولة العثمانية أو تفكـر الدولة نفسها في ارسال الجيوش التركية من مصر أو الشام الى الحجاز لمحاربة الدولة السعودية وهو الامر الذى كان الشريف غالب يخشاه في كل تصرفاته اذ كان يحرص على عدم استقدام قوات عثمانية حتى هذا التاريخ لتحارب معه ضد السعوديين ـ بل كان حريصا على عدم تحويل أرض الحرمين الى ساحة قتال ـ بدليل أنه عندما وصل طوسون (٣) الى ينبع بعد ذلك بأثنتى عشرة سنة كتب اليه ينصحه بعقد الصلح مع السعوديين بدلا من القتال ـ صحيح انه كان يطلب من الدولة امدادات من الذخيرة والقنابل والجنود ولكنه لم يثبت أنه طلب جيوشا تساعده أو تحافظ عليه لأنه كان يعلم أن وجود قوات تركية تأتمر بامرة قائدها التركى أو الوالى الذى ارسلها ولا يملك هو نفسه السيطرة عليها سوف تتآمر حتما على خلعه أو قتله شأن سـلوك القوات التركية في اية ولاية من ولايات الدولة العثمانيـة ـ وقد اثبتت الاحداث سلامة اتجاه الشريف نحو معارضة دخول القوات التركية الحجاز اذ ما كاد محمد على يصل بقواته الى مكة حتى دبر خلع الشريف

---

(٢) وثيقـة رقم ٢/٢ـ٣ تركى ـ مجموعة أمـير مكـة
(٣) وثيقـة رقم ٢/٢ـ٢١ تركى ـ مجموعة أمـير مكـة

كتب الشريف (٤) الى السلطان بتاريخ ٢٣ ذى الحجة ١٢١٤ يخطره بأنه لا يحتاج الى مدد وأنه استطاع أن يحج بالناس رغم وجود السعوديين معه في عرفات وأنه قام بتحصين مكة واستمال المشائر بالعطايا ــ وذلك لكي يشعر السلطان بأنه يملك زمام الحرمين بمفرده دون حاجة الى عون خارجي ٠

وهذا الاتجاه الاستقلالي للشريف، يبرز بصورة اوضح عندما عارض تعيين محافظ على ينبع (٥) وعند ما عارض تحرك قوات من مصر الى الحجاز واعلن اعتزامه منعها بالقوة من النزول الى البر ــ وعندما كتب الى السلطان يطلب ضم ايالة جدة اليه في جمادى الأولى عام ١٢١٥ مقابل دفع جزية سنوية قدرها ٥٠٠٠٠ قرش

توتر العلاقة بين الشريف غالب والامام عبد العزيز مرة أخرى :

انتقض الصلح الذى كان بين الشريف والامام عبد العزيز عام ١٢١٧ عندما انشق وزير الشريف وصهره (زوج أخته) عثمان بن عبد الرحمن المضايفي عليه وخرج من مكة الى الدرعية حيث قابل الامام عبد العزيز وبايعه على السمع والطاعة مما أحنق الشريف واستعد للحرب معه ــ وفعلا ــ اقبل المضايفي الى العبيلا بين تربة والطائف واجتمع عليه جنود من اهل الحجاز وغيرهم فسار اليه الشريف ووقع قتال لم يسفر عن النصر للشريف فتقهقر الى الطائف بينما استطاع المضايفي أن يجذب اليه أهل بيشه بقيادة سالم بن شكبان وأهل رنية بقيادة مصلط بن قطنان وأهل تربة بقيادة حمد بن يحيى وقحطان بقيادة هادى بن قرملة وعتيبة وغيرهم وسار جميع هؤلاء الى الطائف حيث تحصن الشريف واستعد لحربهم ولكنه في النهاية آثر الانسحاب الى مكة دون حرب وترك الطائف للمضايفي وجموعه ــ وكان سعود بن عبد العزيز في ذلك الوقت يتقدم بجيشه نحو السبلة قرب الزلفى ثم الى الحجاز ونزل العقيق في وقت الحج فانسحب الشريف الى جدة ومعه أمواله ومتاعه تاركا شقيقه عبد المعين في مكة وتقدم سعود من العقيق ودخل مكة فأبقى عبد المعين أميرا عليها وبدأ غالب وهو في جدة يراسل سعودا في مكة ويطلب الصلح ويبذل المال وفي نفس الوقت يقوم بتحصين جدة ولم يجبه سعود الى طلبه وخرج من مكة الى جدة وحاصرها اياما ثم رحل عنها دون قتال ٠

وحتى هذه المعركة لم يكن هناك أى دور عسكرى للدولة العثمانية في الحرب القائمة بين الشريف والسعوديين ولكن بعد أن هزم الشريف وطورد الى الطائف ثم الى مكة ثم اجبر على الانسحاب الى جدة اضطر للكتابة الى السلطان يشرح كيف سيطر السعوديون على الجزيرة والحرمين وادعى انهم يستعدون للهجوم على العراق

---

(٤) وثيقة ٢/٢ــ٣ تركى ــ مجموعة أمير مكة
(٥) وثيقة ٥/١ــ١٠٤ تركى ــ مجموعة والى مصر

وعرض الامر على مجلس المشورة العثماني الذى قرر تعيين وال لجدة ومحافظ للمدينة المنورة وكذلك الكتابة الى والى بغداد ليبعث من عنده قاضى بغداد الشيخ هبة الله ليسافر الى الدرعية ويقابل الامام عبد العزيز ويستطلع مقصده (٦)

رحل سعود من مكة عام ١٢١٨ وعــاد الشريف غالب من جدة الى مكة ونازل الحامية التى وضعها سعود في قلعة مكة وأخرجها منها بالامان وبذلك عادت مكة الى حكم الشريف مرة أخرى • ولم يسكت سعود على ذلك فارسل في عام ١٢١٩ الى عبد الوهاب ابو نقطة أمير المع وعسير وتهامة يأمره بغزو جدة فلما وصل هذا الى السعدية قرب ساحل البحر سار اليه الشريف على رأس جيش قوامه ١٠٫٠٠٠ رجل والتقى الجمعان ودارت رحى معركة انتصر فيها ابو نقطة على الشريف وغنم اموالا واسلحة وتقهقــر غالب الى مكــة مهــزوما •

في هذه الاثناء وصل الى استانبول شخص يدعى احمد الياس (٧) أرسله أهل المدينة المنورة ورفع في ١٥ ربيع الأول ١٢١٩ تقريرا الى الصدر الاعظم عن الاحوال في الحجاز يقول فيه « ان النزاع قائم بين السعوديين وشريف مكة والاغا شيخ الحرم يميل نحو الشريف ولن يبتعد السعوديون الا بعد عزل الشريف عن مكة وعزل شيخ الحرم عن المدينة ولما كان شيخ الحرم لا يملك قوة عسكرية فان عزله أمر ميسور أما عزل الشريف في موسم الحج فقد يسبب بعض الاضطـراب وقد كان من الجائز تنفيذ ذلك من قبل ـ على أنه يحسن أن يكون أمير الحج قويا اذا ما أسـند اليـه تنفيذ مهمة العزل فاذا ما قام والى جدة وأمير الحج بمكاتبته بطريقة ودية لكسب صداقته والتمويه عليه حتى لايشعر بما هو مدبر له ، ثم بعد اداء الحج يتقابلان معه ويبرز اليه فرمان العزل فحينئذ لن يكون لديه الوقت الكافى للتحرك والآن يمكن خداعه بفرمان تقدير وشكر على خدماته ـ ويقترح كذلك ارسال خطاب الى سعود بن عبد العزيز وبداى يقال فيه انهما لميتعرضا للحجاج خلال سنتين وأنه اذا كان بينهما وبين البعض في مكة والمدينة نفور فاذا ما تم ابعادهم هل يبقى لهما مطلب آخر في البلــدين ؟ • »

وهكذا وجد الشريف نفسه بين شقى الرحى : قوة السعوديين من جهة ونيـة الدولة العثمانية نحو عزله (٨) ، وقد زاد ضغط سعود عليه ولم يتركه يحكم مكة فقد أرسل اليه في العام التالى ١٢٢٠ هـ عبد الوهاب ابو نقطة أمير عسير وسـالم ابن شكبان أمير بيشة وعثمان المضايفى بأهل الحجاز وقامت الجيوش الثلاثة بمحاصرة مكة ومنعت الحاج الشامى من دخول مكة (ان كان محاربا) فضـاق الشريف غالب

---

(٦) وثيقــة ١/٢ـ١٨ تركى ـ مجمـوعة رئيس الوزراء التـركى
(٧) وثيقــة رقم ١/٢ـ١٤٠ تركى ـ مجموعة رئيس الوزراء التركى
(٨) وثيقــة رقم ١/٢ـ٢٩ تركى ـ مجمـوعة رئيس الوزراء التـركى

بالحصار وطلب من المحاصرين الصلح على مواجهة سعود ومبايعته على السمع والطاعة فصالحوه وامهلوه وفتحت الطرق الى مكة ودخلت القوات المحاصرة مكة حاجة واجتمع ابو نقطة بالشريف وانصرفوا بعد الحج الى اوطانهـــم .

لقد كان هذا الحصار الأخير هو الحد الفاصل الذى اقنع الشريف بعدم جدوى الحرب ضد السعوديين وأنه من الأفضل أن يستقيم على السمع والطاعة للامام سعود بن عبد العزيز ـ والوثيقة التالية ترجمة عربية لوثيقة تركية تضمنت نص كتـاب الشريف الذى ارسله للامام سعود بعد انقضاء موسم الحج فى تلك السنة يعرض فيه أن يحكم باسم سعود بل ويحارب باسمه ويلتمس منه الفرصة لاثبات كفاءته واخلاصه ولنتـــرك الوثيقـــة تتكلـــــم .

ترجمة الوثيقة رقم ٢/٢ـ١٦ تركى ـ مجموعة شريف مكة ـ ١٢٢٠ هـ .

« من غالب بن مساعد الى سعود بن عبد العزيز ليسلمه حضرة الله تعالى من جميع الآفات وليستعمله فى الصالحات الباقيات ولا يحرمه من الحفظ الصمدانى فيكـون ملحوظا بالعناية الربانية وليشمله بالخير والعافية واننا لنسأل جنـــاب البارى أن يحيـــط وجـوده بالاحســــــان .

غير خاف عليك أن هذه الاقطار فى أخبارها وآثارها وأموالنا مع اخوان ديننا كما هى سطرتها لك فى حقيقتها قبل الآن وارسلتها اليك مع المراسيل سائرة نحـــو صلاح البلاد والعباد ولكن فى ذلك الوقت لم اذكر لكم شأن الحجاج الذين لم يتواردوا الى هذا الطرف وأخبارهم مع أولئك المراســـــيل .

وبعد ذلك وبحمد البارى فان الحجاج المسلمين قد أقبلوا من كل الجهات وادوا الحج بأطيب حال وأرفه بال وأم القرى كما وصفها خالق العباد مشمولة بالفضائل التى حلت على العاكف فيها والباد سواء مبرأة من كل المؤثرات الضارة ومن كل حال مستنكر وليكن معلوما لديك أن أمير حج الشام هو عبد الله بن العظم الذى أقبل مع والى جدة عابدين باشا وعسكر عبد الله باشا يقربون من ٢٠٠٠ فى حين أن الخيالة المرافقين لوالى جدة بالكاد يبلغون الخمسمائة وقد سعينا من جانبنا لتفريق عسكر والى جدة من حوله تعريضا بالقول لبعضهم وسوق بعضهم نحو البحر وأخيرا فقد يتبقى لديه فى مكة مالا يزيد عن عشرة أنفار .

والحجاج (٩) اليوم أو غدا لابد وأن يعودوا وقد نصبوا خيامهـــم على طـــرف منفرد بين الحجاج المسلمين . ولما كان هؤلاء المرقومون من رجال الابل لدى عبد الله

---

(٩) يقصـــــد حجـــاج الشــــام

باشا فقد رغب الينا أن يكون شأنهم وسطا مع أمراء المسلمين فاعتذرنا له وحتى أوان تسطير تحريرنا اليكم لم تبدر بادرة حركة لمسير الحجاج ولما يبدر منهم ذلك لا بد وأن نفيدكم به • لننتقل الى شأن عثمان بن عبد الرحمن فانه منذ نزل المسلمون الى مكة لم يكن على حال وقرار في حركاته ولا هي مؤتلفة مع صلاح الدين وقد سلك مع أغراض هواه والنفس امارة بالسوء واغلب الظن وعليه القياس انكم والحاضرين من كبار المسلمين تستذكرون حالة (الذمايم) وتستعيدون حركاتها لان قصده من تلك الحـــركات هو تنفـــير خاطـــرنا •

وأنا أخوك والله عالم وشاهد • اننى لو لم أجد لذة في الموافقة ولو لم يشرح البارى تعالى لها قلبى ما كنت اكرهت نفسى بصورة محتمة على ذلك لأن نفسى بما وسعت مطوقة بقـــدرة الحـــق تعـــالى •

وقبل هذا فانه من المعلوم لديكم أن الضيق الذى حل في مكة كان متروكا للسعة المبذولة من لدنى اذ أنه كان من الممكن ـ في الاول والآخر ـ الاستيلاء على مكة فلا يكون من بعد في مكة غير القصور وحيث البناء من حجر مما لا يستدعى الاسف على قبيلى منها خاصة وأن تلك القصور في عماراتها المستقيمة هى مسكنى مع أهلى كما قال الله تعالى لخليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم : «رب انى اسكنت من ذريتي بواد غـــير ذى زرع عند بيتـــك المحـــرم » •

وانه من المشهود لدى الأرباب من أمثالك •• لا تنتهى الانفس عن غيها مـــالم يكن منها زاجر اى اذا لم تكن النفس من ذاتها ولنفســـها زاجرة فلا تنتهى عن غيها ولا منة لاى مخلوق في ذلك لان نفسى هى في يد خالقها ولا حتمية للغير عليها وان قود الامور في يد اختياره وهو المختار فيما يختاره من أى قول •

ان حركات عثمان في طرفنا التي شاهدها كبار المسلمين وما لجانا اليه من صبر في هذا المجال سوف تذكر حقيقتها لكم حتما وانى لارجو من الحق تعالى ألا يرينى ولا يسمعنى تلك الحركات بوجه ما لاننى أعرف سقوط عثمان في حماة الرداءة •

والآن فانت أخى وتعرف جوابى والحق يعرف أننى لا أصانع معك تحايلا ولا طمعا أو أننى أبتغى لنفسى من وراء ذلك السمة بالاختلاف معك •

لقد اتيت لمجرد مشتهاى وبخاطرى وبرغبتى واختيارى وان شاءالله تعالى لناكون كمثل الآخرين مقاسا عليهم فلم آتى اليـك من أجل شيء لا مآل له أو لعجز ابتغـاء الحصـــول على رغبـــات النفس وما تروم •

والآن ما من أحد قام من عامة المسلمين ليغاكس ما انطوى عليه الاسلام في عواقبه

المحمودة وثناياه التي تبلجت فلا تظنن أو تجزم بأنني سأقوم مناوئا في تلك الخصومات فاجعلني رمحا على الاعداء ولا تدع عثمان وسواه يتمادى على في القول ٠

ان ما هو في يد حكمي منذ القدم مكة والطائف وجدة والحجاز وحرب وجهينة ومن الحجاز الى ساحل البحر حيث البنادر والقبائل المعروفة في حكمي والملحقة بي كمثل التي في جدة ، الزبيدية والينبع وجهينة وفي الساحل القنفدة حتى الطائف ــ الحجـــاز وما يتبعهـــا ٠

فاذا ما جعلت امارة تلك الديار في يدي وترك الى مهام ادارتها شهرين أو ثلاثة فانني بحوه وقوة البارى أباشر الحرب برا وبحرا في مصر والشام واليمن من حيث لا يســتطيعون الدفاع عنهـــا ٠

ولكن اشرط على نفسك لي بأن اية قرية تفتحها يدى مع المسلمين اكون قائما عليها مرتبطة بي في امور أحوالها وصلاح امورها بالنيابة عنك وما أصرفه من مجهود يكون لك على الا يعارضني في ذلك أحد أميرا كان أو حقيرا ذلك لاني أعرف مسالك الخلق اكثر من الآخرين فاعتبرني ولدا صالحا من اولادك وقد جربت عداوتي من قبل فجرب الآن صداقتي لتجد انني لست من اولئك لاكون شاكا بك موهما اياك وسترى عجزى الذى قيل به أمس فاذا ظهر عجزى في تمشية الامور فان ورقة منكم تؤخـــرني وتقـــدم ســـواى ٠

وان قصدى من ذلك أن أستبدل ما كان من السيء بالاحسن في نية مخلصة التماسا لرضا الحق وليكن لعثمان في طرفك عمل والقصد المجرد من هذا أن اظهـــر ما في ضميرى توسعا بالاسلام وهدم الاصنام وانني الزم نفسي بأن اكون قائما بأمور الجهات التي اوردتها في شروطي والمفوضة لي في شأنها وأن لا يكون من يعارضني فيها سواك حتى أكون مطيعـــا دون خـــلاف والله على ذلك وكيـــل ٠

آمل الحصول على جواب رسالتي في العجل لاشمر عن ساعدى واهتم بالامر واذا بدر لك واردت أن تؤخر في بعضها متبعا في ذلك خيال الظن فانني بعون الله تعالى سوف لا اقرب تلك الامور راجيا التفضل بانجاز مطالبي واذا ما شاع ذلك بـــين الاقران فهي في كل الاحوال ستنقص ولن تزيد وان اخلاصي لك أمر جازم وانك قد تحققت من خلال السنتين اللتين مرتا مع مجريات الامور أنه لم يحصل في الحـــرم الشريـف ما يخالـــف رضـــاك ٠

على أن عثمان ولانه كان متفردا في اقواله لم يعقد معنا صلة ظاهرة ولا مشغلة مظهرا على العيان أمام الله الكيد والمداوة في بطحاء قريش في حين انه لا يجب الافادة

عما اخذه من الأشياء الوافرة المبالغ فان بلوغنا العلم بعدم رضاكم عنها لذلك نرى الافادة بها على أن ما صدر حتى الان من امور اذا ادركها حكمكم فأنتم اعرف بأموركم معه اما اذا كان هذا لم يبلغكم خبره فاننا على استعداد لاثبـات ماذكرناه على الوجه الـــذى اوردنـــــــــاه ·

ومن اللازم أن يرسل من قبلكم اوراق لأمان بنادر جدة والينبع والسواحل وغيرها في اموالها وتجاراتها وما يرد اليها من الفلك والسفن الخاصة بالافرنج والنصارى الذميين والحربيين واصناف العالم وعندها لن نقصر فيما هو يتوجب علينـــا من استجلاب الخواطر وجلب المنافــــع ·

ان حامل هذه الرسالة اليكم عبد العزيز رجل غبي لا يدرك مما تضمنته رسالتنا شيئا فليكن الجواب مرسلا معه على عجل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته · »

تلقى سعود هذا الكتاب وكتب على ظهره كتابا منه الى والى بغداد يدعوه للدخول في التوحيد فارسل الوالى الكتابين الى الدولة العثمانية ؟

ـ للبحـث صـلة ـ

المـــراجـــــع

١ ـ حسين بن غنـــــام
تاريخ نجد المسمى روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الانام وتعـداد غزوات ذوى الاسـلام ، الرياض ، المكتبة الاهليـــــة ، ١٣٦٨ هـ

٢ ـ عثمــــان بن بشـــر ·
عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، الطبعة الثانية ، الرياض ، وزارة المعـارف السعودية ، ١٣٩١ هـ

Histoire des Wahabis Depuis Leur Origine
Jusqu'a la Fin de 1809
Par Corancez

٤ ـ مجموعة الوثائق التركية بمكتبة دارة الملك عبد العزيز

شريف مكة بين قوتين

استعرضنا في المقالة السابقة التى نشرت في العدد الثانى من المجلة تاريخ العلاقات بين شريف مكة غالب بن مساعد والدولة السعودية ورأينا كيف بدأت بطلب من الشريف للامام عبد العزيز بن محمد يرجوه ارسال احد علماء الدعوة الى مكة ليشرح له ولعلماء مكة حقيقة دعوة التوحيد وعندما وصل مبعوث الامام الشيخ عبد الله بن عبد الله الحصين الى مكة وجد الشريف والعلماء غير مستعدين للجلوس اليه أو للاستماع منه واجراء المناظرات في أصول التوحيد وكان ذلك نتيجة للمخاوف التى نفثها العلماء في قلب الشريف وقولهم له : ان هؤلاء القوم ـ يقصدون السعوديين ـ ليس عندهم بضاعة الا ازالة نهج اجدادك ورفع يدك عن معتادك وجوائز بلادك ـ فطار لب الشريف وارتعش قلبه ثم دخلت العلاقات في سلسلة طويلة من المعارك دامت اكثر من اربعة عشر عاما انتهت بخضوع الشريف خضوعا تاما للامام سعود بن عبد العزيز واعلانه ذلك الخضوع في خطاب وجهه الى سعود يقول فيها : ان كلمة منك تؤخرنى وتقدم غيرى ٠

تلقى الامام سعود رسالة الشريف فما كان منه الا أن كتب على ظهرها رسالة منه الى على باشا والى بغداد ـ لا لقلة في الورق لديه ـ ولكن ليبلغ والى بغداد وبالتالى الدولة العثمانية أن الحجاز والشريف أصبحا تحت نفوذ الدولة السعودية ٠ وهذه ترجمة الوثيقة التركية التى اشتملت على ترجمة رسالة الامام سعود بن عبد العزيز الى التركية لان الاصل العربى لهذه الرسالة لم نعثر عليه ٠

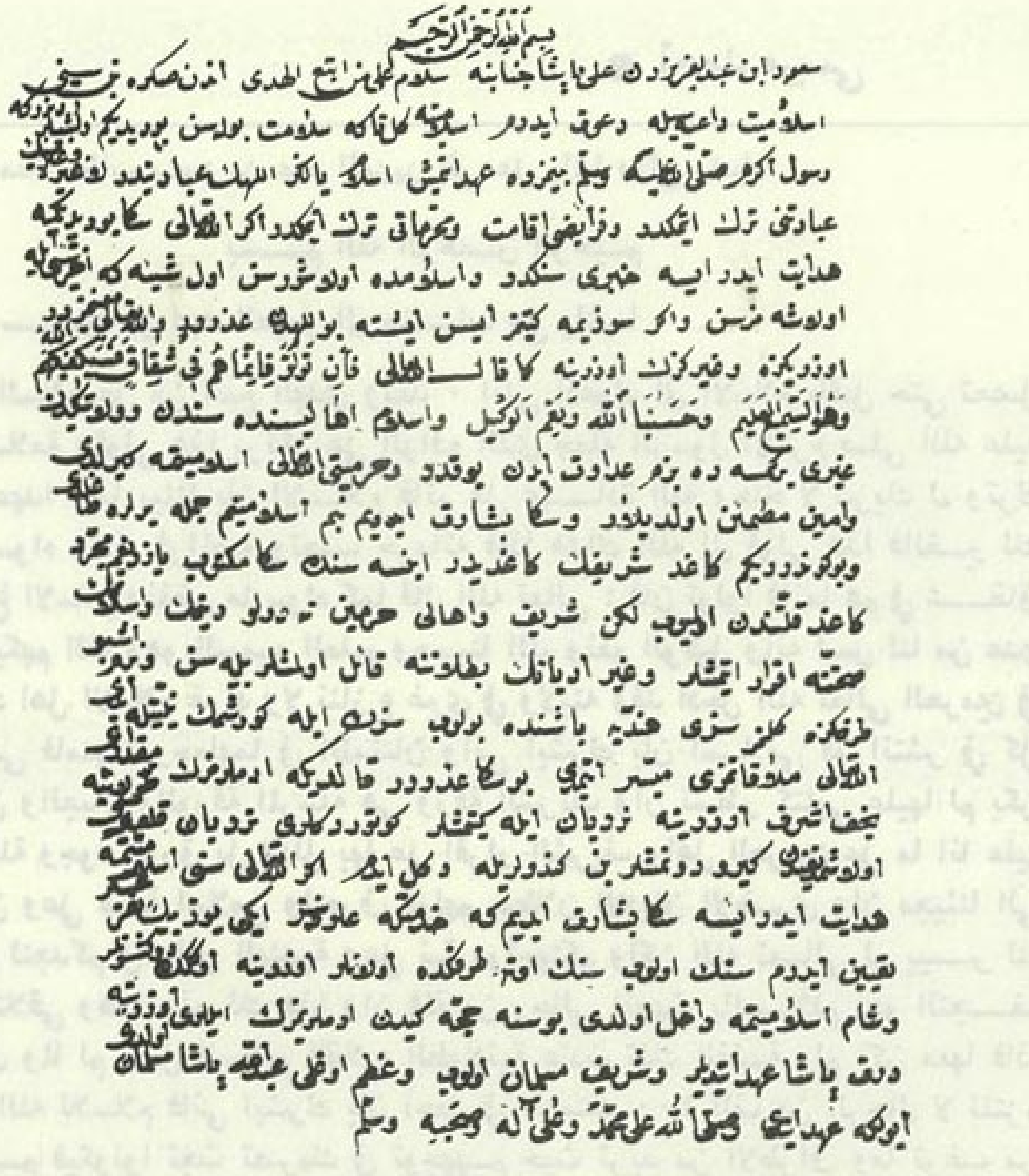
وهذا خطاب سعود بن عبد العزيز الى على باشا والى بغداد

بســم الله الرحمـن الرحيم

من ســعود بن عبد العزيز الى جنـــاب على باشـا

السلام على من اتبع الهدى وبعد . اننى أدعوك الى الاسلام باقبل حتى تحصل على السلامة وقولى هذا يرتكز على الواقع الذى جعله الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم عهدا فيما بيننا بأن الاسلام قائم على عبـادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة سواه واداء فرائضه وتجنب حرماته فاذا هداك الله الى قولى هذا فالخير لك في بلوغ الاسلام ونفض ما سواه كما قال الله تعالى : فان تولوا فانما هم في شـقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وحسبنا الله ونعم الوكيل وأنه ليس لنا من عدو في عداد أهل الاسلام غيرك ولا نتازع غيرى في ولايته وقد ادخل الله تعالى الحرمين في اسلامى فامنهما وجعلهما في اطمئنان وانى ابشرك بأن اسلامى قد انتشر في كل الاماكن والجبال والورقة المرسلة هى ورقة الشريف وان تسطير كتابى عليها لم يكن لمجرد قلة وجود الورق بل لأدلل بها على اقرار الشريف وأهل الحرمين على ما أنا عليه من دين وعلى صحة اسلامى ولتعرف قولهم ببطلان الاديان الاخرى وان مجيئنا الى طرفكم لنجدكم في رأس الهندية وعلى نية مواجهتكم ولكن الله تعـالى لم ييسـر لنا هذا التلاقى وهذا عذر لك هذا وان فئة من رجالى اتجهت بالسـلالم نحو النجـف الاشرف ولما لم تصل السلالم القلاع الطولانية عادت تلك الفئـة ولم أكن معها فاذا هداك الله للاسلام فانى ابشرك بأن أجعل في خدمتك ٢٠٠ ألف من الرجال لا تلتزم باعالتهـم فيكونوا تحت تصرفك في توجههـم حيث تريد من الاطراف وما ترغب من حروب . لقد دخلت الشام في اسلامى وان مقدمى رجالنا الذين قصدوا الحج في هذه السنة قد تعاهدوا مع أربع باشوات وقد دخل الشريف في الاسلام كما دخل عبد الله باشا ابن العظم وتعهدا على ما هو حسن وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم

تلقى على باشا والى بغداد الرسالة فما كان منه الا أن ارسلها الى الحكومة العثمانية ـ وهو الامر الذى قصده سعود أساسا من ارسال رسالته محررة على ظهر رسـالة الشريف لان على باشا لم يكن بحاجة الى العلم بخضوع الشريف لسـعود فهـذه المعرفة مؤكدة بحكم قربه من نجد وبحكم سرعة وصول الاخبار اليه عن العـلاقة بين الشريف وسعود عن طريق قوافل الحاج العراقى ـ فاتخذ سعود من على باشا رسـولا يبلغ الدولة العثمانية بانتهاء سيادتها على كل أرض الجزيرة العربية بل وباستعداده لمقاومة الدولة بجيش قوامه ٢٠٠ ألف رجل يتحرك من العراق لغزو الدولة في عقر دارها ـ ولعل أخبار تلك الرسالة بلغت مسامع محمد على في مصر ـ وكان في بدايـة توطيد سلطته في مصر فاتخذها هدفا يسعى الى تحقيقه ويغزو الدولة في عقر دارها بجيوش تتحرك من مصر بعد تاريخ تلـك الرسـالة بأكثر من ثلاثـين عاما .



نص الترجمة التركية لرسالة سعود بن عبد العزيز الى علي باشا والي بغداد

وصلت الرسالة الى السلطان فامر بعقد مجلس المشورة لدى شيخ الاسلام لدراسة (١) ماكتبه الشريف الى سعود وما حرره سعود على ظهرها الى والي بغداد وما أضافه والي بغداد من أخبار الحرب مع السعوديين ، وتبين للمجلس أن الورقة في شكلها هذا تدلل دلالة قاطعة على أن الشريف أضحى تابعا لسعود وأن اطراف الحجاز عامة منقادة اليه ــ ولما قرئت ترجمة الرسالتين اقتنع المجلس أن سعودا قد عقد اتفاقية مع الشريف ــ وتساءل الحاضرون عن سبب ارسال سعود ورقة الشريف الموجهة اليه ذاتها ؟ ثم أخذوا يفحصون خاتم الشريف على الرسالة فوجدوه غير الخاتم الذى بصمه على الاوراق الاخرى التى ارسلها الى استانبول ــ وهذا يدلل على تخوف الشريف من احتمال وقوع الرسالة في ايدى الدولة العثمانية بطريقة ما فاحتاط للامر وبصمها بخاتم آخر مغاير للمعروف لدى الدولة ــ غير أن خط الرسالة والاملاء والسبك في العبارات قد رفع الاشتباه في كون الورقة هى ورقة الشريف غالب وبهذا ظهر أن هناك اختيار بأن تكون مصالحة الشريف لسعود ضرورية تسلك سبيلها في المسايرة الظاهرة التى الح اليها في خطاباته التى ارسلها من مكة ٠

---

(١) وثيقة رقم ١/٢ـ٤٧ مجموعة رئيس الكتاب ــ وثائق دارة الملك عبد العزيز

ودار حوار في المجلس حول عبارة الشريف عن تجاوزه الشام ومصر واليمن وضبطها وتساءل البعض عما يقصد الشريف بذلك ـ فهل يقصد الدولة العثمانية وقال البعض ان الشريف يقطع صلته بسعود اذا أظهرت الدولة العثمانية القوة واقتنع المجلس بهذا المفهوم الاخير لان خضوع الشريف لسعود في ظل تلك الظروف انما هو ضرورة لا اختيار فيها ما دام مغلوبا على أمره اذ ماذا عساه أن يفعل غير ذلك لان ما اكتسبه سعود من القوة يجعل مقاومة الشريف في درجة المحال وهذا ظاهر في رسالته الى والى بغداد حين يظهر السطوة ويعلن استعداده لتقديم ٢٠٠ ألف عسكرى ـ واستشعر المجلس أن سعودا يقصد توجيه هذه القوة ضد الدولة العثمانية كما فهم المجلس أن والى الشام عبد الله العظم قد قبل الدعوة السلفية وتساءل الحاضرون : ماذا كتب والى بغداد في رده على سعود ؟ ولما تلى رد الوالى وجدوه مشتملا على ايات قرانية وعبارة : السيف أصدق انباء من الكتب ـ ولكنهم ادركوا أن والى بغداد لن يستطيع التحرك من بغداد بسبب التهديدات الايرانية .

ومن جهة أخرى كان سعود بن عبد العزيز يتوجس من نية الشريف ووضع في اعتباره أنه لا بد أن يستثير عليه الدولة العثمانية سرا مهما أظهر من الخضوع وحسن النية ووضع خطة عملية لمنع أية قوة عثمانية من الوصول الى مكة سواء كانت غازية أو مرافقة للحاج ، وأصدر أوامره عام ١٢٢١ الى كل من عبد الوهاب بن عامر أمير عسير والمع وفهاد بن سالم بن شكبان أمير بيشة وعثمان المضايفى أمير الطائف وتهامة وكذلك حجيلان بن حمد على رأس أهل القصيم ومحمد بن عبد المحسن بشوكة أهل شمر والوشم وواعدهم المدينة المنورة حيث التقوا هناك بمسعود بن مضيان وأتباعه من حرب وجابر بن جبارة ، وخرج سعود من الدرعية الى مكة وأرسل فراج بن شرعان العتيبى ورجاله الى المدينة ومعه الاوامر بمنع الحواج التى تأتى من الشام واستانبول فلما أقبل الحاج الشامى بقيادة عبد الله العظم أرسل اليه الامراء أن لا يقدم اليهم وعليه الرجوع الى أوطانه ورضخ العظم للامر وعاد من حيث اتى .

اصبح الشريف غالب معزولا كلية عن الدولة العثمانية ولم يجد مفرا من الرضوخ لسلطان سعود بن عبد العزيز ـ ويسجل الشيخ عثمان بن بشر سلوك الشريف حيال سعود خلال السنوات الاربع التالية بقوله :

في عام ١٢٢٢ حج سعود حجته الرابعة ونزل قصر البياضية وزاره الشريف مرارا وصار معه كالاخ الشقيق فيزوره أحيانا وحده ومعه رجل أورجلان وأحيانا بخيلــه ورجــاله .

وفي عام ١٢٢٣ : نزل سعود قصر البياضية واقام فيـه وغالب الشريف يزوره في كل وقت وهو لسعود بمنزلة أحد نوابه وأمرائه الذين في نجد بالسمع والطاعة وبذل سعود لغالب هدايا وتحفا جزيله

وفي عام ١٢٢٥ : شاهدت سعودا محرما بالحج راكبا مطيته في نمرة لصلاة الظهر وخطب خطبة بليغة ثم أقبل الشريف غالب فوق حصانه وليس معه الا رجل واحد ونزل سعود من كور مطيته وسلم عليه وتعانقا وسلم عليه المسلمون فأقيمت الصلاة

جمعا وقصدوا بعدها عرفة ودخل سعود بعد ذلك مكة واقام فيها الى العشر الاواخر من ذى الحجة وأهدى غالب على سعود هدايا سنية وهو لسعود كأحد أمرائه الذين في نجد ويتكرر نفس المشهد في حجة سعود الثامنة عام ١٢٢٦

وفي العام التالى (١٢٢٧) حج سعود حجته التاسعة واجتمع بالشريف غالب مرارا وكانت القوات العثمانية بقيادة طوسون باشا قد دخلت ينبع والمدينة المنورة وبدأت زحفها نحو مكة واستعد سعود لهذا اللقاء فأبقى في مكة جزءا من قواته ـ وقبل أن يخرج من مكة أقبل الشريف على سعود يبايعه عن الخيانة والغدر ويعاهده على الوقوف بجانبه في وجه الغزاة ـ ثم أمر سعود ابنه عبد الله ومن معه من القوات بالنزول في وادى مر (فاطمة) قرب مكة ٠

وما كادت طلائع قوات طوسون تقترب من مكة حتى نكث الشريف غالب عن عهده واعلن عداءه للقوات السعودية المتمركزة في مكة فأسرع عبد الله بن سعود بسحب هذه القوات ورحل بكامل قواته الى الريعان ثم الى العبيلا ثم الى الخرمة ـ ودخلت قوات طوسون مكة في رجب ١٢٢٨ لتجد الشريف غالب في استقبالها مرحبا ٠

وانقلب الشريف غالب من تابع لسيد نجد الى تابع لقائد قوات الغزو وثارت كوامن الانتقام المختزنة في نفسه ضد صهره وعدوه القديم عثمان المضايفى وقاد فرقا من القوات العثمانية وهجم على الطائف وحاصر المضايفى وقواته في قصر بسل ، واستطاع عثمان أن يهرب من القصر فوقع في يد أناس من العصمة من عتيبة فسلموه الى الشريف فما كان منه الا أن سلمه الى طوسون الذى ارسله الى مصر ومن مصر ارسل الى استانبول حيث قتل ٠

لقد كان الشريف غالب معارضا من الاساس لفكرة قدوم قوات عثمانية الى ارض الحرمين لقتال السعوديين وانبرى بنفسه يخوض عدة معارك لكيلا تقوم الحكومة العثمانية بارسال قواتها ٠ ولما قامت هذه الحكومة بتكليف والى بغداد سليمان باشا بالهجوم على نجد سار هذا بجيوشه الى الحسا وفشل في تحقيق أى انتصار على السعوديين وانتهت حملته بابرام صلح معهم في رمضان ١٢١٣ ـ وقد أحنق هذا الصلح الشريف لانه كان يأمل أن يتم القضاء على القوة السعودية الناهضة بجهود غيره وفي أرض بعيدة عن الحرمين أو على الاقل أن تستمر المعارك طويلا تخفيفا للضغط الواقع عليه من جانبهم ، وأخذ يشكو من تصرف والى بغداد في رسائله المتكررة الى الدولة العثمانية ويتهمه بالخيانة ٠ كما كتب الشريف الى والى الشام يوسف كنج يقترح ارسال قوات من بغداد والشام لتخليص الحرمين من السعوديين بدلا من مصر لانه يعلم علم اليقين باستحالة تحرك قوات من بغداد بسبب ضعف تلك القوات أمام قوة السعوديين وبسبب تهديدات ايران للعراق كما يعلم باستحالة اقدام والى الشام على مغامرة سوق الجيوش الى الجزيرة العربية ـ وفي رسالة أخرى الح الشريف الى أنه سيمنع نزول أية قوة قادمة من مصر مما جعل محمد على يعلن عزمه على انزال قواته بالقوة اذا ما عارضه الشريف (وثيقة رقم ١٩٦٤٧ بتاريخ ٢٢ شوال ١٢٢٤) ٠

لقد كان من الاصلح للشريف أن يستمر الحال كما هو عليه تحت سيادة الدولة السعودية حيث يتمتع بالامان والاستقرار اللذين حرم منهما وهو يحاربهم في ظل التبعية العثمانية ، كما أنه يتمتع بواردات جمرك جدة لنفسه ـ ويعلم جيدا أن الدولة العثمانية تضمر له نية العزل منذ اللحظة التى اعلن فيها ولاءه لسعود فاذا ما تحركت قوات من مصر وسخرت موارد تلك البلاد الغنية للحرب فان مصيره أصبح واضحا ومحتوما ٠

حاول الشريف أن يدفع أو يؤجل هذا المصير بوسيلتين :

الاولى عند ما كتب الى طوسون باشا وهو في المدينة ينصحه بأن يحقن الدماء ويباشر مفاوضات الصلح مع السعوديين حتى اذا ما تحقق ذلك عادت الجيوش الغازية من حيث أتت قبل أن تصل الى مكة ٠

والثانية عند ما اشترط على محمد على الا يسلم مدينة جدة الا بعد فتح المدينة المنورة ـ وبعد أن فتحت ـ راوغ في تسليم قلعة جدة حتى وصلت القوات واخذتها عنوة ٠

ثم جاء محمد على بنفسه الى مكة لاداء فريضة الحج ولعزل الشريف في ذى القعدة ١٢٢٨ ، وقام بعزله واعتقاله في ٢١ ذى القعدة ١٢٢٨ ثم كتب الرسالة التالية بتاريخ غرة ذى الحجة ١٢٢٨ الى رشدى باشا نائب الصدر الاعظم في استانبول « اذا كنا قد أبنا قبل الان الى معتمدنا في استانبول نجيب افندى ما كان عليه حضرة صاحب السيادة أمير مكة المكرمة الشريف غالب من الاساءة والرخاوة وارتكاب الكذب فاننا الان قد بينا اليه ما لاح لنا من عرض لتحركنا من مصر بكثرة من الخيالة والمشاة والمعدات المقتضية بقصد الاتجاه نحو الدرعية دون النظر الى ما يستدعيه ذلك من مال للوصول حالا الى حسن الختام ٠٠٠ فكتبنا الى المشار اليه خاصة مكررين هذا مؤكدين عليه ومشددين بأن يتدارك الجمال بالاجرة أو يشتريها بالثمن المناسب ٠ فلما تيسر لنا الوصول الى جدة في اليوم الثالث من الشهر الحالى ذى القعدة الشريفة اتخذ من مجيء ولدى طوسون احمد باشا وسيلة للاستقبال فأتى الى سفينتي وتلاقى معى طارحا الاعذار الهباء عما تعهد به من تدارك الجمال بالثمن المناسب أو بالاجرة وأنه لم يتداركها ولم يجهزها بل انه ـ عدا ذلك ـ لم يظهر حتى الان أى شيىء يفيد بمصلحة الحجاز لطوسون باشا ولا لاى مخلوق ولما باسطت المشار اليه مصاحبا فانه كان يبنى الموانع من حيث كان مجمل كلامه منتجا لليأس والفتور ٠

ولما كان شأنه هذا قد فهمناه وتحسسناه من كل الوجوه فقد كنا نميل الى التقدير بأنه قد يؤثر كلامنا معه فيستبدل أخلاقه الذميمة بالاخلاق الحميدة فيخدم الدولة العلية ويدفعنا الى التماس استمرار وجوده في منصبه ولكن فقد كان ما جبل عليه وفطر به من اللجوء الى الحيل والخديعة يوحى بأنه يريد استنفاد ما في باطنى وأن يتخذ معى مثل ما اتخذ من الحيل مع حضرات الوزراء العظام السالفين ولما أضحى

معلوما في يقينى أنه اذا لم ينزل المشار اليه عن منصبه فان مصلحة الدرعية لن تبلغ الخاتمة بسبب حركاته غير اللائقة بشنآن شرافته وعدا ذلك فانه جعل الذخائر الوافرة المرسلة من مصر والخاصة بالعسكر في قلعة مكة المكرمة الحصينة وحشر فيها اكثر من ٢٠٠٠ رجل من المغاربة الى جانب العساكر المعروفة باسم اليمن والسليمانى وقال وهو مغتر بنفسه بأنه على استعداد للحرب بما يزيد عن ٢٠٫٠٠٠ رجل وعدا ذلك فانه لم يشعل قنديلا في داخل بيت الله وخصص زيتها لقصره وحصل رسما باسم « وطأ الارض » على الحجاج وامثال ذلك من البدع الشاذة ٠

ولما كانت لدينا المعدات والأدوات والعساكر الوافرة وفي يدنا ما يكفى الامور الحجازية من الاموال واللوازم ولسنا في حاجة الى شيء فيما عدا الجمال التى كان من الممكن تسهيل تداركها فقد اغمضنا اعيننا عن تدارك الجمال ولم يؤثر فينا ما ظهر وما تقصده المشار اليه من كل ما طرحه من امهال وبدا منه من اهمال في شأن الدرعية واقدمنا في اليوم الحادى والعشرين من شهر ذى القعدة الشريفة الحالى على انزاله من منصبه وأرسلناه معززا مكرما الى جانب مصر ورفعنا كل ما أحدثه من من خصوصات من حيث كان ذلك لدى أهل مكة عيدا ٠٠٠ »

ثم باقى الرسالة الذى يتناول تنصيب الشريف يحيى محله ٠

ويلاحظ أن الرسالة لم تتناول من قريب أو بعيد الاسلوب الذى تمت به عملية العزل والاعتقال ـ وقد وردت هذه العملية بالتفصيل في كتابى المؤرخ عثمان بن بشر والمؤرخ عبد الرحمن الجبرتي وكلاهما كتب ما وصل الى مسامعة عن الحادث من القبض على الشريف وحبسه وأخذ جميع ما في خزائنه من الذهب والفضة وغير ذلك مما يعجز عنه الحصر ـ كما ورد وصف تفصيلي للحادث في وثائق شركة الهند الشرقية (في تقرير رفعه القنصل البريطانى في المخا بتاريخ ٣٠ مارس ١٨١٤ الموافق ٨ ربيع الثانى ١٢٢٩) ـ يقول التقرير :

ورد من جدة الى أحد التجار المرموقين في المخا رسالة تقول :

« ٠٠٠٠ كان الشريف يقوم بضيافة الوالى وعندما جلس أمامه أبرز له فرمانا من الباب العالى يأمره بالتوجه الى الحضرة العلية فوضعه الشريف على رأسه علامة الخضوع واعلن استسلامه التام لرغبة سيده ثم قبض عليه مع ثلاثة من اولاده وارسلوا تحت الحراسة الى جدة ثم أبحر بعد بضعة ايام الى السويس وسوف يرسل من هناك الى استانبول ليقدم حسابا عن فترة حكمة وعند القبض على الشريف تم نقل حريمه وأطفاله الصغار الى منزل آخر وتم جرد ممتلكاته الشاسعة وأمواله التى جمعها بكل وسائل العسف والجور خلال فترة حكمه الطويلة »